وزارة التعليـم العالـي والبحـث العلمي
المركز الجامعي مرسلي عبد الله - تيبــازة -
معهد العلوم الاجتماعية والإنسانية
قسم العلوم الاجتماعية

د/ غماري فوزية

د/ بوالقمح نزيهة

محاضرات مدخل إلى علم النفس (تابع)
المحور الثاني/ مدارس علم النفس

المحاضرة رقم 4 (الجزء الثاني)

2- المدرسة السلوكية:

ترتكز المدرسة السلوكية على **دراسة سلوك الانسان والحيوان** على حد سواء، و قد أشرنا فيما سبق بأن علم النفس هو علم دراسة السلوك وتحليله والتنبؤ به وهو(أي السلوك) كل نشاط يصدر عن الكائن الحي سواء كان خارجي أو داخلي، ولكن المدرسة السلوكية **تدرس السلوك الذي يستطيع أن يلاحظه الإنسان** ملاحظة خارجية بمعنى أن تتم دراسة السلوك على أساس الاستجابات الممكن ملاحظتها وتسجيلها مثل الاستجابات الحركية التي تصدر عن الكائنات الحية عندما تتعرض لمثيرات مختلفة، أما الأشياء التي تخص الانسان نفسه كشعوره بشيء يخصه فهي موضوعات لا تصلح للدراسة حسب الاتجاه السلوكي على اعتبار أنها غير قابلة للملاحظة الخارجية.

و بهذا فالمدرسة السلوكية تنفي و **ترفض التأمل الداخلي أو الاستبطان**، وكل ما قيل عن الغرائز كأساس للسلوك وكل الاستعدادات الموروثة، و ركزت على المؤثرات البيئية التي تتدخل في كل شيء و تلعب دورا في تعديل و تغيير كل شيء،و لقد كان من بين أهم أهداف رواد هذا الاتجاه و على رأسهم واطسون Watson هو الوصول بهذا العلم (أي علم النفس) إلى مصاف العلوم الطبيعية الأخرى التي تعتمد على المنهج التجريبي و على الملاحظة العلمية الموضوعية.

أسس هذا الاتجاه عالم النفس الأمريكي "واطسون جون برودوس"، الذي كان يرى مع أتباعه أن السلوك الظاهري هو مصدر المعلومات الوحيد الممكن الوثوق به، و جاء هذا

التركيز على الحوادث المرئية بمثابة رد فعل لتأكيد مدرسة البنيوية على الاستبصار، و لقد أكد السلوكيون **على أهمية البيئة** في تكوين السلوك الفردي و بحثوا بصورة رئيسية على العلاقة الكائنة بين السلوك الظاهري و المثيرات البيئية. كما أدرك "واطسون" و غيره من السلوكيين أنه من الممكن أيضا تغيير سلوك الإنسان بالإشراط والواقع أنه اعتقد أن بإمكانه توليد أي استجابة يريدها من خلال التحكم في بيئة الفرد. (بتصرف أحمد عبد اللطيف،2020، ص113)

شجع "واطسون" العلماء الذين كانوا يدرسون الحيوانات ورأى فيهم الأشخاص الذين يستطيع علم النفس أن يعتز بهم و يقدرهم، و هذا نتيجة لما وقفوا عليه من نتائج موضوعية لمسائل كالغريزة و التعلم. (عبيدي،2000، ص 31)

نفهم من كل ما ذكرناه بأن المدرسة السلوكية قدمت طرحا مختلفا في دراستها لنفس الانسان عما كان متداولا، و هناك من يعتبرها ثورة على المدارس الأخرى التي اعتمدت تحليل الشعور و التأمل الباطني، فقد عمل "واطسون" على الاستقلال و التحرر من المفاهيم الغيبية التي لا نستطيع رؤيتها أو ملاحظاتها والتي تعلقت بعلم النفس (كالشعور، و الوجدان، و الادراك....) و قال في إحدى محاضراته **بأن علم النفس ما هو إلا علم موضوعي و تجريبي**، و سيكون كذلك ضمن العلوم الطبيعية الأخرى.

يرى "واطسون" بأن **السلوك** هو **عبارة عن عادات تتكون آليا و تدريجيا نتيجة لتغيرات** تحدث داخل الانسان وخاصة من الناحية الفيزيولوجية، لذى فسره على أساس ميكانيكي بحث. (مثلا مثير داخلي أو خارجي يؤدي إلى استجابة معينة) و يرى بأن السلوك يتكون نتيجة عادات متصلة إلى أن تصبح هذه العادات عبارة عن أنماط سلوكية مما يجعل الكائن الحي يتصرف و يواجه المواقف الخارجية التي يتعرض لها في حياته.

و ترى المدرسة السلوكية أن سبب حدوث **عملية الادراك ناتج عن مؤثرات مختلفة على الحواس**، وهذه الحواس هي التي تتحول إلى مجموعة صغيرة من ذرات، وأن الكل يتكون من مجموع الأجزاء، وعليه فكل عادة معقدة ما هي إلا مجموعة مترابطة من عادات جد بسيطة. (بتصرف عبيدي،2000، ص32)

ونستنتج من ذلك أن المدرسة السلوكية تتجه في طرحها من العام إلى الخاص، بمعنى أن كل سلوك نهائي ما هو في الحقيقة إلا مجموعة من السلوكات الجزئية المركبة، اكتسبها الانسان بفضل استجابات متكررة لمثيرات متشابهة، تترابط مع الوقت فيما بينها و تتركب لتنتهي في صورة معينة.

" و يمكننا الإشارة فيما يلي لبعض الأسماء التي ساهمت في تأسيس الطرح النظري للمدرسة السلوكية كالعالم **"مورجان" Morgan** الذي لاحظ بأن سلوك الحيوان يمكن أن يفسر في أبسط مستوى ممكن، وأن الحيوان يمكن أن يتعلم من خلال المحاولة و الخطأ و

فسر ذلك عن طريق حذف الأخطاء التي يتعرض لها الحيوان وتعزيز الاستجابة الصحيحة تدريجيا و هذا أثناء التكرار.

أما **"ثورندايك" Thorndike** فقد استخدم في تجاربه على الفئران والحمام والقردة والقطط، الصناديق والأقفاص، وكان في كل مرة يعرض هذه الحيوانات لامتحانات صعبة وكان يراقب سلوكها، وتوصل إلى أن الحيوانات غير قادرة من ناحية القدرات العقلية العليا كالفهم والاستبصار، وأن الحيوانات تصل إلى الحل عن طريق التعلم لهذه المواقف بالتدريج، واستنتج كسابقه **"مورجان"** بأن الحيوانات تتعلم عن طريق **المحاولة و الخطأ**.

أما "بافلوف" Pavlov فله يرجع كل الفضل في اكتشاف المنعكس الشرطي و الذي من خلاله تم فتح المجال إلى تجارب كانت غريبة على علم النفس بسبب استخدامها للمنهج الاستبطاني و التمركز حول دراسة الشعور ، فعند قيام "بافلوف" بتجاربه المتكررة على كلبه و المثيرات المتغيرة في كل تجربة توصل إلى إمكانية ارتباط استجابة ما بمثير هو في الأصل غير مثيرها، و تكرار تقديم هذا المثير الجديد مع المثير القديم عددا من المرات يؤدي إلى استجابة **سماها الاستجابة الشرطية.**(بتصرف نفس المرجع السابق، ص32)

ويمكن الإشارة إلى أن قيام النظرية السلوكية كان ثمرة دراسات مختلفة قام بها كل **من "بافلوف" و"واطسن" و "سكنر"** وآخرون، كما أن هناك عدد من الاتجاهات السلوكية التي تقوم على نظريات التعلم تختلف فيما بينها في سبل العلاج و أسباب الاضطراب و تشترك في الملامح العامة، و من النظريات السلوكية نجد نظرية الاشراط الكلاسيكي بريادة "بافلوف"، و نظرية الاشراط الاجرائي بريادة "سكنر".

2-1-النظرة إلى السلوك الإنساني:

يرى أصحاب المدرسة السلوكية أن الشخصية هي التنظيمات أو الأساليب السلوكية المتعلمة الثابتة نسبيا والتي تميز الفرد عن غيره من الناس، كما ترى أن السلوك الإنساني هو عبارة عن مجموعة من العادات التي يتعلما الفرد ويكتسبها خلال مراحل نموه المختلفة، و تتحكم في تكوينها قوانين الدماغ وهي قوى الكف و قوى الاستثارة التي تسير مجموعة الاستجابات الشرطية، و يرجعون ذلك إلى العوامل البيئية التي يتعرض لها الفرد وتدور هذه النظرية حول محور عملية التعلم في اكتساب التعلم الجديد أو في إطفائه أو إعادته، و لذا فالسلوك الإنساني مكتسب عن طريق التعلم، و أن سلوك الفرد قابل للتعديل أو التغيير بإيجاد ظروف وأجواء تعليمية معينة. (بتصرف أحمد عبد اللطيف،2020،ص119)

و عليه فالسلوك الإنساني يتم تعلمه واكتسابه من خلال البيئة التي يعيش فيها الانسان، و من خلال استجاباته المتكررة لبعض المثيرات حسب القوانين الفيزيولجية التي يخضع لها جسمه، أي أن السلوك الإنساني ما هو إلا مجموعة من العادات التي يتعلمها الفرد أثناء مراحل نموه المختلفة، في معزل عن العمليات الداخلية التي تحدث داخل الانسان، و بتركيز عن الأحداث البيئية التي يعيش الإنسان في كنفها.

ونلخص ما تم الإشارة إليه في مقولة واطسون ليوضح مفاهيم السلوكية بقوله: "أعطوني اثني عشر من الأطفال الرضع الأصحاء، ذوي البنيان الجيد، وسوف **أقوم بتربيتهم، وسأضمن أن أختار أي شخص** منهم وأقوم بتدريبه، ليصبح – بغض النظر عن مواهبه وميوله وقدراته وعرقه – أي نوع المتخصصين الذين أختارهم، كطبيب أو محام أو فنان أو لص أو متسول".

وهذا يعني أن أصحاب المدرسة السلوكية يعتقدون أن أي شخص يمكن تدريبه ليكون أي شيء بغض النظر عن خلفيته وسماته وأفكاره، وبالتالي فهم يعتقدون أن كل السلوكيات تكون نتيجة التجربة.

2-2-أهم المفاهيم في النظرية السلوكية:

2-2-1- السلوك الإنساني المتعلم: يكتسبه الفرد من محيطه سواء كان سلوكا سويا، أو مضطربا و بما أنه متعلم فبطبيعة الحال يمكن تعديله و تغييره ليصبح سلوكا مرغوبا فيه و مقبولا.

2-2-1-1-المثير: هو حدث أو ظرف أو تغيير محدد في البيئة وينقسم إلى:**مثير شرطي**و **مثير غير شرطي**

-**المثير الشرطي:** يعرف باسم المثير الشرطي الغير طبيعي، وهو في الأصل مثير محايد، وهو المثير الذي نتعلم أثره في السلوك من خلال عملية الاقتران التي تحدث عندما يقترن مثير ما مع مثير غير شرطي.

-**المثير الغير شرطي**: وهو المثير الذي لا يحتاج إلى الخبرة و التعلم لمعرفة أثره و دوره في السلوك فهو يستجر الاستجابة، مثلا رائحة الليمون وشكله و لونه يستجر استجابة وهي سيلان اللعاب.

2-2-1-2- الاستجابة: هي أي نشاط يصدر عن العضوية سواء كان إراديا أو غير ارادي ، إذن الاستجابة والسلوك هما نفس النشاط ولكن قد يتألف السلوك من عدد استجابات. (استجابة شرطية، واستجابة غير شرطية)

-**الاستجابة الشرطية:** تكون إرادية متعلمة (وتنتج بعد اقتران المثير الشرطي بمثير غير شرطي.)

-**الاستجابة الغير شرطية:** وتكون إرادية غير متعلمة (وهي التي تكون جزءا من رد الفعل المنعكس وتسببها مثيرات غير شرطية كما هو الحال في الاشراط الكلاسيكي)

2-2-1-3-المثير و الاستجابة: كل سلوك حسب المدرسة السلوكية له مثير، فاذا كانت العلاقة بين المثير والاستجابة علاقة سامية ومنسجمة فإنها تترك السلوك السوي والعكس صحيح، و الأمر يحتاج إلى دراسة و مساعدة. (بتصرف نفس المرجع السابق، 119/118)